**محاضرات في مقياس ابستمولوجيا العلوم الاجتماعية/ دروس توجيهية تابع:**

**السنة الثانية ليسانس**

**الأستاذ: زازوي موفق**

**قسم العلوم الاجتماعية**

**شعبة الأنثروبولوجيا**

المحاضرة الثالثة: علم النفس

تمهيد: هو أحد العلم الإنسانية المقصود بهذه العلوم ، تلك العلوم التي تتخذ الإنسان كموضوع للبحث .و هو ذلك العلم الذي يهتم بالحياة النفسية لهذا الكائن الحي المعقد.و دراسة الإنسان تعد من أشد الكائنات تعقيد، لتعقد أبعاده و لامتلاكه الوعي و الإرادة الحرية في الفعل.

فإذا كان علم الاجتماع يتناول الإنسان من الناحية الاجتماعية و علم التاريخ يتناوله من الناحية التاريخية أي في بعدة الماضي التاريخي الاقتصاد من الزاوية المعاشية....فان علم النفس يدرسه ككائن يعيش حادث نفسية.

- موضوع علم النفس يتمثل في دراسة الحوادث النفسية كالخوف و الألم و الغضب و الفرح و التخيل...

- طبيعة الحادثة النفسية: تصدر عن الإنسان ككل فه الوحيد الذي يعيشها.

و هي تختلف عن الظاهرة الطبيعية فهذه الأخيرة لا تحركها الإرادة هي تتكرر عدة مرات دون أن تفقد من طبيعتها.

أما الحادثة النفسية تغمرها الحيوية بدون انقطاع و أنها ذاتية و موضوعية.

\* قلنا سابقا إن طبيعة الموضوع هي التي تفرض المنهج

إذن كيف يمكن أن نفهم هذه الحادثة النفسية؟

إن المنهج الذي يعمل به علم النفس مستوحى من طبيعة الموضوع الذي يهتم بدراسته. و لما كانت الحادثة النفسية ذات مظهرين داخلي و خارجي فكان لا بد أن يعتمد علم النفس على منهجين.

1/- المنهج الاستبطاني: أو ما يعرف بالتأمل الباطني يعتبر قديما و هو منهج مفاده تحليل الإنسان لحادثته النفسية أثناء وقوعها . لذلك يعرف على أنه انعكاس الشعور على النفس بغية التعرف على ما فيها من أحوال نفسية. بحيث يلجا الفرد إلى وصف ما يجري في نفسه من هذه الأحوال. انه يقوم على إدراك الذات لذاتها و خدمة إغراض علمية. انه يقوم على إدراك الذات لذاتها بحيث ينقلب الشخص فيه إلى ملاحظ و ملاحظ أي إلى دارس و مدروس. وظلت هذه الطريقة سائدة أمدا طويلا مدعمة بدعوى وحدة الطبيعة البشرية متجاهلة الفروق الفردية في الطبيعة البشرية هذه. و كانت قبل أن يستقل علم النفس بذاته متبعة من طرف بعض المفكرين أمثال مونتاني و ديكارت و بسكال. لكن لم تلبث أن انكشف قصورها من نواحي عدة

ولما كان هذا المنهج مستحيلا و لما كان الإنسان غاضبا مثلا أثناء الحالة النفسية. فكر علماء النفس في انتقاد هذا المنهج و أصبح الاستبطان استرجاعا هذا ما يدعى ب:Introspection أي بعد إراحة الإنسان يطالب منه أن يصف حالات الغضب التي كان يعيشها. أي العودة إلى الذاكرة أي إلى ما يتذكره الإنسان من حالات نفسية عاشها الإنسان.

إن التحليل الذاتي بالمعنى الدقيق للكلمة، عملية عسيرة جدا إن لم تكن أمرا مستحيلا.فكيف يمكن تحليل الحوادث النفسية و هي لا تنقطع عن الديمومة؟ فأنا لا أستطيع دراسة أو ملاحظة حالتي الهيجانية في الوقت الذي أكون منفعلا .لان مجرد التفكير فيها و هي تنتابني من شأنه أن يخفف من حدته ولهذا يوصف التحليل الذاتي بأنه تحليل استرجاعي :INTROSPECTION RETROPECTIVE

و عملية الاسترجاع هذه ليست أبدا إعادة صادقة للماضي.إنما إعادة تنظيم الماضي بشكل جديد.فاقد للحرارة الأصلية في الأغلب.ثم إن هذه الطريقة لا يمكن تطبيقها إلى على الذي يحسن إلى حد ما الإفصاح عن نفسه .

و بالرغم من المحاولات التي قام بها العلماء لإصلاح هذه الطريقة إلا أنه يمكن القول أنها بقيت محدودة و لا تؤدي إلا إلى نتائج ذاتية.

نقد و مناقشة:

إن هذه الطريقة من شأنها أن تؤدي الى نتائج ذاتية لأن الإنسان لا يمكنه الإفصاح عن كل ما يجول في داخله من أحال نفسية فقد يحتفظ ببعضها لنفسه.

ان هذه الطريقة لا يمكن تطبيقها على الاطفا و المجانين لأنه تعتمد على اللغة

اللغة ذاتية لأننا نتفاوت في امتلاك اللغة.

ان هذه الطريقة تعتمد على الذاكرة و نحن نعلم ان الذاكرة ليست امينة أو وفية في استرجاع الماضي بدقة فالذاكرة كما قيل خير لها أن تكون نساءة.

نص للاستعانة به في نقد الاستبطان:

نقد الاستبطان: لأوغست كونت: و هو مؤسس المدرسة الوضعية التي تستبعد الشعور و كل ما هو باطني لأنه يعتبر من الضلالات الميتافيزيقية.

يقول: يلاحظ انه لا مكان بأي وجه من الوجوه لعلم النفس الوهمي هذا الذي هو آخر تحول للهوة و الذي يراد عبثا بعثه اليوم من جديد و الذي من دون أن يكترث لا بالدراسة الفيزيولوجية لأعضائنا الذهنية لا بملاحظة الطرق المنطقية التي توجه بالفعل مختلف أبحاثنا العلمية اذ يدعي التوصل إلى الكشف عن قوانين الفكر البشري الأساسية بتأمله هو في ذاته أي بإهمال كل من الأسباب و النتائج إهمالا كليا.

2/- الطريقة الموضوعية: /المنهج الموضوعي

ان علماء النفس الكلاسيكيون أنفسهم لم يتجاهلوا نقص الاستبطان ضعف مهمته. فحالوا الإعراض عنه بالملاحظة الخارجية أي بملاحظة الغير. هذا من جهة و من جهة أخرى ، إن الفروض التي ينطلق منها العقليون المتطرفون التي بمقتضاها يعتبر الكائن البشري نوعا من العقل الخالص، جاء الوقت لتتنازل و تترك المكان لتصور أكثر تفتحا منهاج يقف على سلوك الغير من الناحية الموضوعية الخارجية. و هذا المنهاج يشبه المناهج المعروفة في العلوم الطبيعية اذ يقوم على دراسة، قوامها الملاحظة الظاهرية أو التجربة التي تظبطها داخل المخابر، آلات خاصة. من هنا يمكن التمييز بين سلسلتين من الطرائق:

1/- الأولى هي مجرد امتداد للملاحظة و هي المستعملة في السيكولوجيا التكوينية من أجل دراسة المراحل التي يجتازها الكائن الحي في نموه العضوي و النفسي و الاجتماعي. هي طرائق تجمع ما بين التحليل التركيب. على أنها في ذلك لا تحلل عناصر و لا تركب بين عناصر. إنها تتناول وحدات منظمة منذ البداية و تزداد تنظيما باطراد النمو. و هذه الطرائق معمول بها في علم نفس الحيوان الطفل و المراهق و علم النفس المرضي و علم النفس الرجل البدائي.

أما دراسة الحيوان فقد سمحت بقيام المدرسة السلوكية و ازدهارها، فأوحىت بمقارنة السلوك الحيواني بالسلوك الإنساني. و ملاحظة الطفل ساعدت كثيرا على معرفة اللغة و نمو الذكاء و نشوء الأنا. و معرفة الأمراض التي يقول عنها فرويد أنها ترجع في أصلها إلى الطفولة، أفادت العلماء في التعرف على نشوء كثير من الوظائف النفسية و نموها و تكاملها بالمقارنة مع سلوك الراشد. ولقد صححت الأبحاث النفسية المختصة بالأقوام البدائية بعض الأفكار الخاطئة الشائعة حول الحياة البدائية و أثبتت بأن المجتمعات البدائية لا تختلف أبدا من حيث الطبيعة عن الشعوب المتحضرة. إنما التفاوت في درجة التحضر فقط.أم علم النفس الباثولوجي أو المرضي، فقد ألقى أضواء على الحالات الشاذة، انعكست أصداؤها في المجال الطبي المجال السيكولوجي المحض.

-2/- أما السلسلة الثانية، فتحي السائل التجريبية كالمخابر الرائز أ الاختبارات من أجل قياس الذكاء كذلك الآلات، بعضها خاص بعلم النفس بعضها الآخر مشترك بينه بين الفيزيولوجيا و علم الاجتماع، وهي آلات يسخرها علم النفس لضبط بعض الحوادث النفسية ضبطا كميا كالمتعبة لضبط التعب و المنبضة لقياس النبض و المسمع لاختبار السمع .... آلات أخرى لقيا حركات الإحساس و الدوران و الشم و غيرها. وهكذا استطاع علم النفس أن يدرس سلوك الإنسان بصورة موضوعية كما يتمثل بالفعل في ظواهره النفسية و ظواهره المجسدة.

توصل إلى قوانين كمية أهمها قانون فيختر القائل بأن الإحساس يساوي لوغاريتم المؤثر ، و قانون بييرون القائل بأن النسيان يزداد بصورة مناسبة مع قوة لوغاريتم الزمن. الا أن هذه القانين لا تخل من التعسف فهي عبارة عن تعميمات أكثر منها قوانين ثابتة بحيث ينتفي الاستثناء الشذوذ. هكذا فان الحادث الشعورية و غير الشعورية تنعكس في سلك المرء الخارجي. فإذا اقبل احد السلكيين على دراسة الذاكرة انصرف عن البحث فيها كوظيفة نفسية إلى ملاحظة الطريقة التي تؤدي بها وظيفتها في الظاهر أي كما يتعلم المرء و يتذكر.

و المنهج الموضوعي سمي كذلك لدراسته الظاهرة من ناحيتها الخارجية.